

الزينة السوداء

عن : الكسندر دوماس
بقلم : عادل الغضبان



دار المعارف

الكتاب



الزَّنْبَقَةُ السَّوْدَاءُ

افلاذنا

١٥

الزيتونة السوداء

عن : الكسندر دوماس
بقلم : عادل الغضبان

الطبعة السادسة عشرة

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

٨٥٨.٨٩٩.٢٨٠

رقم التصنيف

٣٣٦٠٦

دار المعارف



كانت هولندا في شهر أغسطس من سنة ١٦٧٢ مسرحاً للحوادث الجسام ، فالقوضى ضاربة أطنابها في طول البلاد وعرضها ، والجيش الفرنسي محتل أغلب مدنها وقراها ، والحكم فيها قد تسلم زمامه حزب الفتى « جيئوم دورانج » ، والشعب ناثر على الزعماء القدامى ولا سيما على « كرنای دی ویت » نزيرل سجن العاصمة ، وعلى أخيه « جان دی ویت » الذي استقال من منصب مستشار الدولة الأعظم غداة اعتقال شقيقه .

تقلّب « کرنای دی ویت » في عدّة مناصب كبيرة ، فكان المفتش العام على الأسطول الهولندي ، ورئيس المجلس البلدي في « لاهای » عاصمة



هولندا ، ونائباً عنها في مجلس النواب . ولقد أبلى بلاءً حسناً في المعارك البحرية التي شنتها على إنجلترا في سنة ١٦٦٧ ، ولكنه مُني في سنة ١٦٧٢ بالهزائم إبّان زحف فرنسا على هولندا ، فثار عليه الشعب واتهمه بالخيانة . وكان شقيقه « جان دي ويت » مستشار هولندا فقاد مصايرها أحسن قيادة ، وحدّ من أطماع الحكم الفردى ولكنه لم يستطع أن يصدّ فرنسا عن غزو هولندا ، فاستفاد أتباع « جيُوم دورانج » من ذلك الوضع ، ونادوا بإمارة « جيُوم » على هولندا ، وأكروهوا الأخوين على إلغاء المرسوم الذي كانا قد أصدراه في سبيل تقييد « جيُوم دورانج » والبعد به عن أن يحكم البلاد حكماً مستبدّاً .

وفي أثناء اضطلاع الأخوين « دي ويت » بالحكم ، أدرك كلاهما بثاقب رأيه وبعد نظره ما كان وما سيكون لملك فرنسا لويس الرابع عشر عدوّ هولندا الأكبر من شأن عظيم في السياسة الأوروبية ، فأحبّ أن يجملاه ويخطباً ودّه لإنقاذ البلاد من الاحتلال الفرنسي ، والاعتماد على فرنسا في إحباط مؤامرات الدول الأخرى . فجرت في ذلك بين الأخوين وبعض وزراء فرنسا مكاتبات ومفاوضات ، علِمَ بها أعداء الأخوين فاستغلّوها استغلالاً جائراً ، وأذاعوها في الشعب ، فعدّ اتصال الأخوين بدولة أجنبية خيانةً من الخيانات العظمى ، فانقلب عليهما وأهدر دمه ، ووجد في شخص الفتى « جيُوم دورانج » معقِد رجائه ومناط آماله ، فهتف باسمه وانتظر على يديه الخير العميم .

ولم يتجد رجال الحكم دليلاً يؤاخذ به « جان دي ويت » فبقى مُطلق السراح ، أما أخوه « كرنای » فقد أعوزتهم فيه أيضاً الأدلة على خيانتة ، فأخذَ بتهمة التآمر على حياة « جيوم دورانج » وحكم عليه بالنفى ، ولكن الشعب وقد نفث فيه أتباع « جيوم دورانج » سمومهم ، لم يرض بذلك الحكم ، فنارت ثورته وغلى فيه السخط والغضب فهبَّ يطالب بدم السجين .

فعلى مثل تلك الحال من الاضطراب والغليان نهض سـ « لاهای »
عاصمة هولندا في صباح اليوم العشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢ .
ولم تكد الشمس تطلع من خيـرها ، وترسل أشعتها على تلك العاصمة
الجميلة البيضاء ، حتى كان الطريق المؤدى إلى السجن غاصاً بالأهلين ،
نفروا إليه مختلفي الأغراض والغايات . فقد عـرفوا أن « كرنای دی ویت »
سيخرج في ذلك اليوم من السجن في طريقه إلى منفاه ، فجاء بعضهم
يلقى النظرة الأخيرة على ذلك الحاكم المعزول المنفى ، وأقبل بعضهم الآخر
على عادة الجماهير وأهوائها ، يشهد حكم القدر فيمن كان بالأمس
مرفوع الراية واسع السلطان ، وخفّ غيرهم مسلحاً بالعصى والخناجر
والأعيرة النارية ليقبض من السجنين ويكون جلاّده ، فعقوبة النفي
ما كانت لثروى منه الغليل المضطرم بالبغض والكراهية والشحناء .

واندست بطبيعة الحال في ذلك الجمهور جماعات من أتباع « جيوم



عن تخلف العُزْل وتقدم المسلّحين ، حتّى إذا وصل إلى مقربة من السجن اعترضت سبيله كتيبةٌ من الفرسان مدجّجين بالسلاح يتقدمهم قائدهم الفرنسي ، فاقرب قليلاً من الجمهور وسيفه مسلول في يده وقال :

— « ماذا تريدون أيها السادة ؟ » فهتف الجمهور قائلاً :

— «عاش "أورانج" . . . الموت للخونة . . . فقال القائد :

— « اهتَفُوا بالحياة والموت ما شِئْتُمْ أَنْ تَهْتَفُوا، عَلَى أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ ذَلِكَ حَدُّ الْهَتَافِ. أَمَّا إِذَا حَدَّثْتُمْ النَّفْسَ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى أَحَدٍ فَسَوْفَ أَحُولُ دُونَ ذَلِكَ بِقُوَّةِ السِّلَاحِ، فَحِرَاسَةُ السَّجْنِ مُوَكَّلَةٌ إِلَيَّ، وَلَنْ يُعْتَدِيَ فِيهِ عَلَى سَجِينٍ وَأَنَا حَتَّى أَرْزُقَ . . . »

وعاد إلى كتيبته وصاح في رجاله :

— « اشتهروا السلاح . . . »

فأطاع الجند أمره ، وسدّوا بنادقهم في هدوء ودقة ، فتراجعت
طلائع الجمهور قليلاً ، فصاح القائد فيها :

— « اطمئنوا أيها السادة فلن تنطلق منا رصاصة واحدة ، إلا إذا

خطوتم خطرة إلى باب السجن . فقال له رجل كان في المقدمة :

— « ألا ترى يا سيدي القائد أننا مسلحون مثلكم بالأعيرة النارية ؟ »
فقال القائد :

— «أرى ذلك يا عزيزي الهمام ، ولكن لا تنسَ أن أسلحتنا هي



٢

بينما كان « جان دى ويت » يصعد درجات السلم المؤدى إلى محبس أخيه ، كانت الجماهير المتدفقة على السجن تحاول أن تخترق نطاق الحرس ، وكان القائد الفرنسى واقفاً لها بالمرصاد يفوت عليها ما تبغى وما تضر .

وعبثاً حاول قادة الجماهير أن يثنوه عن عزمه ويفسح لهم فى الطريق ، فكان لا يكين ولا يذعن . فلما ضاق بهم ذرعاً قال لهم :
 - « يجب أن تفهموا أيها السادة ، أن الأوامر قد صدرت إلى بحراسه السجن ومنع كل هجوم عليه ، فلا تضطربوا إلى استعمال السلاح فى

— «أجل ! لهذا جئت يا شقيقی». فقال «كرنای» :

— « ساعدنی علی النهوض یا اخی ، و ستری اُنی سلیم ” معافی اُسْتطیع

السیر . . . فقال « جان » :

- « لن تكون في حاجة إلى السير طويلاً ، فركبني في انتظارنا

خلف كتيبة من الجند الفرنسي يحرسون مداخل السجن . . . فقال

۱ کرنای :

— « وما شأن الجند عند مداخل السجن ؟ » فقال « جان » :

— « يعلم أهل "لاهای" أنك ستغادر اليوم السجن في طريقك إلى

المنفى ، فعهد رجال الأمن إلى تلك الكتيبة في الحراسة خشية من هياج

الجمهور . . . فقال « کرناى » متسائلاً :

— « أخشية من هياج الجمهور ؟ ! أتكون إذن هذه الأصوات التي

سمعتها الساعة دليل هياج الجمهور على " ١١٩ "

فہرّۃ (جان) ، رأسہ ہزّۃ الإیجاب ، فاستأنف (کرنای) ، الحدیث

قائلا :

— «وكيف تمكنت من الوصول إلى ؟» فقال «جان» :

— « سلكت الدروب الضيقة ! » فقال « کرناى » حزیناً :

— وَأَنْتِ يَا "جَان" تَضْطَرُّ إِلَى التَّوَارِي عَنْ إِيه مَهْوَر بَعْدَ أَعْمَالِكَ

الباهرة في سبيله ١٩ « فقال « جان » :

— « كان هدفى أن أصل إليك بأسرع ما أستطيع ، ففعلت ما يفعله السياسى والبحار عندما يواجهان الإعصار .. لقد تداريت من العاصفة » .
وكان دوى الجمهور وصياحه قد بلغ أشده فى تلك اللحظة فطرق مسمع الأخوين فسأل « كرنای » أخاه :

- «أعلى» أنا يثور هذا الجمهور أم عليك ؟ وعلام يؤخذنا ؟
فقال «جان» :

— «علینا کلینا . . . إنه يأخذ علینا مفاوضتنا فرنسا . . . » فقال
«کرنای» :

— « يأخذ علينا هذه المفاوضة ولو نجحت لاستفادت منها بلادنا كل الاستفادة ، ولتجنب كثير من الهزائم . . . » فقال « جان » :

— « هذا صحيح ، ولكن من لنا بالناس المقلاء الخلقاء يقدرونا قدرنا ولا يبخسوننا أشياءنا . . . ولو أن الرسائل التي دارت بيننا وبين وزير فرنسا وقعت في أيدي "الأورنجيين" لما رأوا فيها دليلاً على وطنيتنا وتضحيتنا في سبيل حرية بلادنا ومجدها ، بل لعدوها آية الآيات على خيانتنا . . . وكيفما كان الأمر فلعلك لم تنس أن تحرق تلك الرسائل قبل أن تترك مدينة "موردريخت" لتلحق بي إلى "لاهاي" . فقال « كراى » :

— « إن تلك الرسائل التي كتبها إلى وزير فرنسا ، دليلٌ أى دليل على وطنيتك وبراعتك يا أخى فى قيادة سفينة البلاد إلى شاطئ الحرية



في الوقت الذي كان فيه الأخوان « دى ويت » يتحدثان عن شؤونهما ومصيرهما ، كان أولئك النُفَر من المتظاهرين الذين قرروا الذهاب إلى المحافظة ، يجذون في السير إليها بُغْيَةً للحصول من حكام المدينة على إلغاء الأمر الصادر إلى القائد الفرنسي بحماية السجن .

وكان في جمهور الثائرين شاب يرى ويسمع كمن يراقب الحوادث دون الاشتراك فيها ، فلما رأى تلك الزمرة تسجّه إلى المحافظة ، تبعها عن كسّيب ليعرف ما ستؤول إليه خاتمة المطاف .

وتدلّ ملامح ذلك الشاب على أنه في نحو الثانية والعشرين من العمر

وكان لا يبدو من وجهه المثلث غير عينييه البراقطين ، وأنفه الأفي ، ولا شك أن هناك أسباباً قد حملته على التلثم والتخفى ، وكانت تلوح عليه مع ذلك علامات القلق والجزع ، تُلحظ من الأحاديث العامة التي كان يتبادلها مع ضابط مرافق له .

وصلت الزمرة إلى دار المحافظة ، فعلى هتافها وصياحها ، فخرج إليها رجل يحدّثها من شرفة الدار ثم اشتدّ الجدل بين ذلك النائب ، وزعيم الزمرة ، وكان النائب لا يفتأ يقول :

— « أيها السادة ! إن زملائي غير موجودين الآن في المحافظة ، ولا أستطيع أنا وحدي أن أصدر الأمر الذي تطلبون . . . »

وما لبثت تلك الزمرة أن انضمت إليها مئات من الناس العابرين أو الراجعين من ميدان السجن فردّوا جميعاً صائحين :

— « الأمر . . . الأمر . . . »

وحاول النائب أن يتفاهم مع هؤلاء الهائجين فما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولشدّة ما اضطرب وانزعج عندما رأهم يخترقون باب المحافظة ويتدفّقون منه إلى داخل الدار .

وما هي إلا دقائق معدودات حتى ارتجّت أركان المحافظة ، وارتج معها الفضاء بالهتاف والدوى ، وتدفق الناس خارجين من المحافظة وعلى رأسهم رجل قد ارتسمت على وجهه كل ما يمكن أن يرسم على الوجوه من



الخبر ، فما كان ضميره ليرتاح إلى سفك دم رجل قضت المحكمة عليه بالنفى لبس إلا . . . على أن سيده الفتى لم يكن يشاركه في ذلك السرور ، فقد بدأ العرق يتصبَّب من جبينه ، وشرر الغضب يتقدُّ في عينيه فقال لرفيقه الضابط :

– « لئن هرب "كرناى" من السجن إنه لن يهرب من المدينة ، فأبوابها كلها لا شك مقفلة ، ولن يتجاوزها أحد إلا بإذن خاص » . فقال الضابط مدهوشاً :

— «أصدرت يا مولاي مثل هذا الأمر ؟!»

فلم يُحِرِ الفَتَى جواباً ، وشغله صباح الجمهور عن الجواب . ولقد جرت الأمور بحيث تَوَقَّعَ أو قَدَّرَ ، فأكادت مركبة الأخوين «دى ويت» تصل إلى مقربة من باب المدينة المفضى إلى الميناء حتى صاح السائق مذعوراً :

— « الباب مقفل يا سيدى ! »

فأطل « جان » من نافذة المركبة فرأى الباب مقفلاً ، فأوجس شراً ،
فما جرت العادة أن يقفل الباب في وضوح النهار ، غير أنه أمر السائق بمتابعة
السير إليه فلا بد أن يدعن البواب لأمر الخروج الذي يحمله « جان » في
جيبه .

وصلت المركبة إلى محاذة الباب ، فطلب « جان » من البواب أن

يفتح لهم الباب وأبرز له الأمر الذى يحمله، فاعتذر البواب فى أدب واحترام وقال :

— « لا سبيل يا سيدى إلى فتح الباب فليس معى المفتاح » . فقال « جان » :

— « وهل يكون المفتاح مع غيرك وأنت المنوط بك حراسة الباب ؟ » فقال البواب :

— « سيدى، لقد جاعنى فى هذا الصباح الباكر فى فى نحو الثانية والعشرين من عمره ، وقدّم لى أمراً محتوماً موقعاً عليه من مجلس الحكام بتسليمه مفتاح الباب بعد إغلاقه فأذعنت للأمر ! »

ف شكره « جان » وأمر السائق أن يرجع القهقهة سرياً ويطير إلى أقرب باب آخر للمدينة ، فنفذ أمر سيده ولكنه لم يكده يمتاز منتصف الشارع حتى وقف المركبة وصاح وهو يضطرب خوفاً وذعراً :

— « سيدى . . . سيدى . . . انظر . . . انظر . . . »

فنظر « جان » من نافذة المركبة فرأى مئات من الناس مندفعين نحوهم ، وكانوا فريقاً من الذين بحثوا عن « كرنائى دى ويت » ، فى السجن فلما لم يجدوه فيه تفرقوا جماعات تجدد فى أثره .

وأدرك « جان » أنه وأخاه هالكان لا محالة فقال للسائق :

— « انجُ بنفسك يا صاحبي واتركنا لمصيرنا المحتوم ! »

فتردد السائق هنيهة بين البقاء والفرار ، وكان الجمهور الثائر قد وصل إلى المركبة فأثر السائق الفرار .

وكان أول عمل قام به رجل من المهاجمين أن أهوى بفأسه على جوادى المركبة فصرعهما وسقطا في بركة من الدماء .

وفي هذه اللحظة فتحت نافذة أحد المنازل فتحاً قليلاً ، وبدا منها وجه الفتى الذى رأيناه يتعقب الجمهور ويشهد الحوادث ، فكان شاحب الوجه ممتنع اللون ، يسرّح بصره فى الجمهور المحيط بالمركبة كمن يريد أن يشهد خاتمة الرواية ، وظهر وراءه ضابطه وكان يفوقه شحوباً وامتناعاً فقال :

— « انظر يا مولاي انظر . . . إنهم ينزلون ”جان دى ويت“ من المركبة . . . إنهم يضربونه . . . إنهم يمزقونه . . . إنهم يبقرون بطنه . . . ويذبحونه ذبح النعاج . . . يا للفظاعة ! » فقال الفتى بلهجة هادئة ساكنة .

— « لا بد أن يكون شعور السخط والثأر هو الذى يحفزهم إلى هذا العمل ! » فقال الضابط :

— « انظر يا مولاي إنهم ينزلون الآن ”كرناى دى ويت“ من المركبة » .

ولم يستطع الضابط أن يتيمّ حديثه فراجع إلى وراء ، فقد أهوى أحد للثوار بهراوه من الحديد على رأس « كرناى دى ويت » فحطّمه تحطيماً

وسقط صاحبه صريعاً ، ولم يكتف الثائرون بذلك بل جروا جثته إلى وسط الشارع ، وأخذوا يلوسونها بالأقدام ويعملون فيها المُدَى والحناجر .

وما وسع ذلك الفتى الذى كان يشهد تلك القضايع من على إلا أن
يُغمض قليلاً جفنيه من هول ما رأى ، ثم استعاد سريعاً خلقه الصلب
القاسى فالتفت إلى ضابطه وقال :

— « اذهب في الحال يا كولونل وأبلغ جنودى أن يعملوا إلى السلاح
نأهباً للطوارئ » .

فطار الكولونل ينفذ أمر « جيئوم دورانج » ، فما كان هذ الفتى إلا « جيئوم دورانج » نفسه ، وعاد إليه بعد قليل يخبره أن الجيش على قدم الاستعداد .

وغادر « جيوم دورانج » بعد ذلك مدينة « لاهای » يتبعه ضابطه الكولونل وقد امتطيا جوادين فارهين ، وخرجا من نفس الباب الذى امتنع على الأخوين « دى ويت » . وحدث ولا حرج عن اضطراب البواب لما عرف أن الفتى الذى أخذ منه مفتاح الباب فى ذلك الصباح كان أمير البلاد .

وانطلق الفارسان يتتبعان الأرض انتهاباً إلى مدينة «لندن» .

المزركشة بالطواحين ، فتزل بها وسار توا إلى المنزل الذى يقصده .

وكان هذا المنزل يسكنه شاب سعيد فى الثامنة والعشرين من عمره هو الدكتور « كرنيليوس » ، فما كان يحفل بشيء فى هذا العالم إلا بأبحاثه العلمية ، وتربية الأزهار والرياضة ، معتمداً فى ذلك على ثروة تركها له أبوه ، وكان قد جمعها من تجارته فى الهند . ولقد حدثه عنايته بتربية الأزهار إلى الغرام بصنف من الزنبق يسمى « التوليب » . ولم يكن الوحيد فى هذا الغرام ، فأهل هولندا كلهم كانوا مثله فى ذلك العصر هياماً بذلك الصنف من الزنبق الوارد لهم من أقاصى الشرق ، غير أن الدكتور « كرنيليوس » كان أقدر من سواه على أن يبذل فى سبيل تلك الزنبقة الوقت والمال ، فأثبت منها الأشكال والأنواع ، وأصبحت المدينة ، بل هولندا كلها ، لا تتحدث إلا فى زنايق الدكتور « كرنيليوس » .

واتفق أن كان للدكتور « كرنيليوس » هذا جوار معنى هو أيضاً بتربية « التوليب » ، غير أن ضيق ذات يده لم يكن يسمح له بالإتفاق على ذلك الهوى أو المهنة ، فكان الوحيد الذى يَضمِر للدكتور « كرنيليوس » الحسد والبغضاء ، ويضطرم شوقاً إلى معرفة التجارب التى يسُجرها جواره فى الطبقة العليا من منزله ، وكانت ممتلئة بأثيرة الزهور والبزور وبالخزائن المفعمة رفوفها بالكتب والدفاتر . فكان إذا هبط المساء ، أسند إلى الحائط المشترك بينه وبين جواره الدكتور « كرنيليوس » سلماً يصعد فيه درجة درجة ،

حتى إذ وصل إلى آخره سدّد منظاره الطويل إلى غرفة جاره المخصصة بزمهر « التوليب » ، واجتهد أن يحرز كل ما يفيد من زراعة هذا الضرب من الزنبق ، يتخذها جاره هوّى وترفاً ويتخذها هو صناعة ومورد رزق .

وكلما مرت الأيام ازداد الدكتور « كرنيليوس » نصراً وفوزاً فيما كان يستنبط من أصناف « التوليب » ، وازداد جاره وكان يسمّى « إسحق بوكستل » حسداً وضغينة . فكفم ودّ لو يهجم على دار الدكتور ويقلب حديقته العالية رأساً على عقب ، ويرى غليله بروية أزهار جاره مخنوقة مدبوسة .

وظلت نار الحسد تأكل قلب إسحق حتى عمد إلى الحيلة في إلحاق الأذى بجاره، فجاء ذات ليلة بقطيعين، وربط رجل كل واحد منهما بخيط واحد طويل بعض الطول، وورماهما إلى منزل جاره من الخائط المشترك، فهبطا أولاً إلى الحديقة، ثم تولاهما الرعب فحاول كل قط أن ينجو بنفسه، فكان الخيط المربوط به القط الآخر يحول بينه وبين الهرب، ويدفعه إلى الناحية المقابلة. وبني القطان في كر وفر يعيثان فساداً في كل ما مرّاً عليه، ويملآن الليل سوءاً حتى انقطع الخيط وفر كل إلى جهة.

وقضى إسحق ليلته ساهراً ينتظر طلوع الصباح ليرى الفساد الذي أحدثه القطان في حديقة جاره ، فما إن برزت الشمس من خدرها حتى أخذ يختلس النظر من فوق السور إلى حديقة الدكتور « كرنيليوس » ، فلم

يُحَدِّثُ فِيهَا مِنْ آثَارِ التَّخْرِيبِ مَا يَشْفِي حَزَاةَ صَدْرِهِ ، وَزَادَهُ غَمًّا أَنْ رَأَى
الدُّكْتُورَ مُقْبِلًا عَلَى حَدِيقَتِهِ يَصْلُحُ فِيهَا بَعْضَ الْأَلْبَانِ وَالْأَزْهَارِ ، غَيْرَ
مُكْتَرِثٍ وَلَا مُبَالٍ ، وَسَمِعَهُ لَمَّا عَلِمَ مِنَ الْخُدْمِ أَنَّهُمْ سَمِعُوا فِي اللَّيْلِ مَوَاءَ قَطَطٍ ،
أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِنِيبَاءِ كُوخٍ فِي الْحَدِيقَةِ يَنَامُ فِيهِ غُلَامٌ مِنَ الْخُدْمِ لِيُطْرَدَ عَنْهَا
الْقَطَطُ إِذَا عَادَتْ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَجَسُنَ لِإِسْحَاقَ غَيْظًا ، وَأَخَذَ يَفْكَرُ
فِي وَسَائِلٍ أُخْرَى يُوْذِي بِهَا جَارَهُ الْغَنَى الْفِيلَسُوفَ الْعَالِمَ .

وعندما أذاعت الجمعية الزراعية في مدينة « هارلم » أنها خصصت جائزة كبيرة قدرها مئة ألف « فلوران » تمنح لمن يوفّق إلى إنبات زنبقة سوداء صافية الأديم خالية من العيوب، سأل لعاب إسحق لهذا الخبر ، وصمّم أن يحيط هذه المسألة بما يستطيع من جهد وخبرة . ثم علم أن جاره الدكتور « كرنيليوس » قد عُنِيَ أيضاً بهذا الابتكار أو الاستنباط ، فأصبح يكثر من التلصّص عليه ومراقبة حركاته وسكناته ، مستعيناً بالسلم والمنظار ، في الوقوف على دقائق ما يفعل ذلك العالم

واعتنق الدكتور « كرنيليوس » فكرة إنبات تلك الزنبقة السوداء ، لا كسباً للجائزة فهو من فضل الله وفضل والده في سعة وغنى ، ولكن ظفراً بمجد عظيم سيسجل اسمه في سجل الخالدين . فاستطاع أولاً بعد تجارب ودراسات وأبحاث ، أن يحول اللون الأحمر إلى لون بني غامق ، في حين كان جاره لمحق لم يصل في تجاربه إلا إلى اللون البني الفاتح . فسم العمل

وحصر همه في التلصص والمراقبة .

كان الدكتور « كرنيليوس » يقضى سحابة نهاره في الحديقة ، حتى إذا انتصف الليل صعد إلى مكتبه واستسلم إلى البحث والدرس ، فيراه إسحق من وراء منظاره ينتخل حبويه وبزوره ، ويسقيها ببعض السوائل التي تحيلها من لون إلى لون ، ويعرض بعضها إلى أشعة النور ، ويحفظ بعضها الآخر في أغلفة سواده لا يتسرب إليها النور ، فيتمنى لو استبدل بالمنظار عياراً نارياً يطلقه على ذلك المنافس العنيد .

وفي شهر يناير ١٦٧٢ جاء « كرنای دی ویت » يزور مدينة « دوردرخت » مسقط رأسه ، ويقف فيها على أحوال أسرته التي باعدته السياسة عنها زمناً طويلاً ، فمرّج ذات مساء على منزل قريبه الدكتور « كرنيليوس » ، وكانت صلته بهذا الشاب أكثر من صلة القرابة ، فقد كان له الأب والأم بعد موت والديه ، ورعاه رعاية مستمرة ، وأحبّ أن ينتظمه في السلك السياسي ، ويعينه في أحد المناصب الكبرى ، غير أن الفتى آثر الاشتغال بالعلم محققاً منقّباً باحثاً فركه يعمل على هواه .

وصحبت زيارة « كرنای » لقريبه « كرنيليوس » جلبة وضوءاء ، فالرجل كان لا يزال في ذلك الحين أثيراً في قلوب الناس ، لمّا ينحدر نجمه إلى الأفول ، فهرع إسحق يستطلع شأن تلك الضجة ، فعلم بأمر الزيارة ، فطار إلى مرقبه في المنزل يسلّط منظاره على الزائر والمزور ، فرآهما يطوفان



في أنحاء المنزل ، ويستعرضان ما فيه من أزهار ورياحين ، ثم يصلان إلى مكتب الدكتور « كرنيليوس » فينفردان فيه دون الخدم والحشم .

ورأى إسحق وهو في مَرَقَبِه أن « كرنای دی ویت » بعد أن تحدث قليلاً مع قريبه ، أخرج من جيبه رُزْمَة أوراق ودفعها إلى « كرنيليوس » ، فأخذها هذا ووضعها في إحدى الخزائن . وظن إسحق لأوّل وهلة أن هذه الرُزْمَة من الأوراق لا شكّ تحتوى على أسرار الرُزْبَقَة السوداء ، ولكنه عاد وقرّر فيما بينه وبين نفسه أن « كرنای دی ویت » ما كان يوماً من هُوَاة تربية الأزهار ، فشاغله السياسية لا تسمح له بالتفرغ لمثل هذا العمل ، فلا بدّ أن تحتوى إذن هذه الأوراق على سرّ من أسرار السياسة ، ولا بد أن تكون على جانب كبير من الخطر . ولئن أودعها رجلاً لا يمتّ إلى السياسة بصلة من الصّلات ، إن ذلك دليل على الإمعان في الحرص والاحتراس ، فالدكتور « كرنيليوس » معروف بانقطاعه إلى العلم وتبحره في البحث والتنقيب ، فلن ترقى إليه الرِيسَب ، ولن يخامر أحداً الظن أن لديه ودعة خطيرة من الأسرار السياسية .

واستسلم إسحق إلى التعليل والاستنتاج ، فوثق كل الوثوق أن تلك الرزمة لا تنطوي على شيء من بزور الرياحين ، وإلا كان « كرنيليوس » فتحها في الحال ليمتص نفسه وقلبه وبصره بما تحتوى ، فوراء الأكمة إذن ما وراءها .

ولقد صدق حدّس إسحق وتخمينه : فتلك الرزمة من الأوراق هي



7

في اليوم العشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢ ، في ذلك اليوم الذي شهدت فيه العاصمة مصرع الأخوين « دى ويت » ، كان الدكتور « كرنيليوس » في نحو الساعة الواحدة بعد الظهر جالساً إلى منضدته في مكتبه ، يحملق في بزور ثلاث انتزعها من بصلتها وكانت وليدة العلم والطبيعة ، فقد توصل بعد البحث والتجربة إلى إنبات بزور ثلاث لو زرعت لتنجس عن كل واحدة منها زبقة سوداء .

كان « كرنيليوس » يحدّق إلى بزوره فيراها ولا يراها ، فقد طاربه الفكر كل مطير ، وأخذ يناجي نفسه بمثل هذه المعاني : « لقد وفّقتُ إلى

— « ولكنني سأقع على أزهار الزنابق ! » فقالت المربية:

— لیکن! ...!

فتناول « كرنيليوس » البزرة الثالثة ، وفتح النافذة وألقى ببصره إلى الحديقة فبدت له الزنايق مزدهرة منسّمة فعاد منها وقال :

— « كلا ! لن أحطم هذه الأزهار ! »

وفتش بعينيه عن شيء يجمع فيه البزور الثلاث ، فوقع نظره على الورقة التي كان « كراك » قد وضعها على المنضدة الكبرى ، فأنساه اضطرابه شأن تلك الورقة والرسول الذي جاء بها ، فالتقطها ولفّ بها البزور الثلاث ، ودسّها في صدره ، وانتظر وصول الشرطة ، فاعتصم رئيسهم أن يدخل الغرفة وقال :

— «أنت يا سيدی الدكتور ” کرنیلیوس فان باول “ ؟ » فقال

« کرنیلیوس » :

– « نعم أنا هو ، وإنك لتعرفني حق المعرفة يا سيدى ! » فقال
رئيس الشرطة :

— « إذن سلمنا ما عندك من أوراق الشَّغَب والعَصِيَان والحَيَاة ! »

فقال « کرنیلیوس » مدهوشاً :

— «أوراق شغب وعصيان وخيانة ؟ !» فقال رئيس الشرطة :

— « لا تحاول الإنكار ، ولا تظهر بمظهر المتجاهل ! » فقال « كرنيليوس » :

أظفرت بما كان يرجو ويأمل . ولما عاد إلى منزله خطر له خاطر ابتسم له .
وبعث في نفسه الأمل ، وأيقظ فيه شعور الفوز ، فقد ثبت في
ذهنه أن الدكتور « كرنيليوس » ما كان ليترك مثل تلك البنود في منزله
عرضةً للنهب أو الضياع ، وهو الحريص عليها حرصه على أكثر من
الحياة ، فهي لا شك قابعة في أحد جيوبه ، وسوف يحرص الدكتور
« كرنيليوس » عليها ما دام على قيد الحياة . ولكن عندما ينفض فيه
الجلاد حكم الموت . فمن اليسير على إسحق أن تمتدّ يده إلى جيوب القنيل ،
ويظفر بتلك الدرر الغالية !

وكأنما ارتاح إلى هذا التعليل وهذه الأمنية ، فانفجرت شفتاه عن ابتسامة شيطانية ، وقرر الرجول إلى « لاهاي » .

وفي أثناء تفكيره هذا كان جاره البريء المسكين نزيل سجن «لاهای» .
وتشاء المقادير أن ينزلوه في محبس «كرناي دی ویت» . ولقد عادت
السكينة إلى ذلك السجن بعد العاصفة الهائلة التي اجتاحتها في ذلك اليوم ،
ولولا أن الثوار عثروا على الأخوين «دی ویت» ومشأوا بهما أشنع تمثيل ،
لما استتبّ للسجن ولا للعاصمة أمن ولا هدوء ، ولما خرج بواب السجن
وابنته «روزا» من مخبئهما السري وعادا إلى مزاولة عملهما .

وقضى « كرنيليوس » ليلته في محبسه مفكراً مهموماً ، ولم يجد ما يتعزى به إلا نظرات الفتاة « روزا » عندما استقبلته مع أبيها ، ومشيا به إلى



فأذعن « كرنيليوس » للأمر ، وبقى واقفاً في مكانه لا يتحرك ولا يَرمي ،
وحاول السجان أن ينهض بعد ذلك فنهض ، غير أنه لم يكد يحرك ذراعه حتى
أحسّ بالألم الشديد فقد كانت ذراعه مكسورة . ثم اشتدّ عليه الألم والوجع
فسقط مغشياً عليه بعد أن صرخ صرخة اهتزت لها أركان السجن .

ونظر « كرنيليوس » إلى جسم السجان الممدّد على الأرض ، وإلى
باب محبسه المفتوح ، فما دار الفرار في خاطره ، ولكنه أقبل على السجان
يُسَعِّفه ويُحيطه بالعناية .

وفيما هو منحني فوق جسم السجان يصلح من شأنه ، ويقيم له ذراعه
الملتوية ، كانت « روزا » ابنة السجان قد أقبلت على صراخ أبيها ، فرأت
السجين منحنياً فوق جسم أبيها فما شكت إلا أن الرجلين قد تعاركا فطوّح
السجين بالسجان .

ورفع « كرنيليوس » بصره ليرى من ذلك القادم إليه ، فبدت له
الفئاة تترجم عيناها عما يدور بخلفها ، غير أنها لما أدركت الحقيقة
خجلت من نفسها ، واقتربت من « كرنيليوس » تقول له بعينين مغرورقتين .
— « عذراً يا سيدى وشكراً » .

فوقعت هذه الكلمات في فؤاد « كرنيليوس » أجمل وقع ، وهم بشكرها
على عاطفتها النبيلة لولا أن أباهما قد فتح عينيه في تلك اللحظة ، وعاد إليه
رشدّه وغلظته أيضاً فقال :



٨

استجُوب « كرنيليوس » في صباح اليوم التالي فلم ينكر أن الأوراق كانت وديعة لديه ، ولا نفى أن « كرنای دی ویت » هو الذي استودعه إياها ، ولكنه أنكر كل الإنكار أنه يعرف مضمونها ، أو أنه اشترك في حوادثها . فلم يقتنع القضاة بما قدّم لهم واعترف ، وعدّوه شريكاً في الخيانة ، بل ذهبوا إلى الاعتقاد بأن ستار العلم والبحث والاهتمام بتربية الأزهار يخفي وراءه رجلاً من أدهى الدُّهاة وأخطر الساسة ، ومضى أحدهم فقال : إن تربية الأزهار تتفق كل الاتفاق مع الاشتغال بالسياسة ، وإن التاريخ يحفظ لنا أسماء كثير من دهاة السياسة عُرِفوا بفلاحة الأرض وزراعة



— « لقد نظرت إليك بأعين الجسم والقلب فما وقع نظرى على أجمل منك خلُقًا وخلُقًا ، فإذا حوَّلت عنك الآن نظرى فلاثنى سأخرج من هذه الحياة عما قليل ، ولا أريد أن آسف على شيء فيها . »

ودقَّت ساعة السجن عندئذ إحدى عشرة دقة فاضطربت « روزا » ففهم « كرنيليوس » اضطرابها وقال :

— « لتسرع فالوقت ضيق . . . »

فأخرج « كرنيليوس » من سترته الورقة الملفوفة فيها البزور الثلاث وكان قد أعادها إلى سترته لَمَّا أُن على نفسه غائلة التفتيش ، فقال يخاطب « روزا » :

— « يا صديقتى العزيزة ! لقد أحببت الأزهار طول حياتى ، ولم أكن أدرى أن فى حياتى شيئًا غير الأزهار يمكن أن يحبه الإنسان . . . لا . لا . لا تخجلى ولا تميلى بوجهك . . . فشعورى هو الذى يتكلم . . . ولكن على غير طائل فالمشقة فى انتظارى . . . قلتُ يا ” روزا “ إنى أحببت الأزهار ، وأحسب أنى وفَّقت إلى العثور على سرِّ الزنبقة السوداء ، ولعلك تدرين أو لا تدرين أن هنالك جائزة قدرها مئة ألف ” فلوران “ خصصتها الجمعية الزراعية فى مدينة ” هارلم “ بمن يَفْلح فى ذلك الكشف الذى يعدُّونه مستحيلًا . . . لقد عثرت على السرِّ فهو هنا فى البزور الثلاث التى تحتويها هذه الورقة ، فاقبليها منى على سبيل الهدية وتمتعى

بالحائزة .

فَقَالَتْ « رَوْزَا » :

— : رحماك يا سيدى ! « فقال « كرنيليوس » :

— « إني وحيد في الحياة ، فأخذك هذا المبلغ لا يضر أحداً . . . »

وإني واثق بأنك ستظفرين بالجائزة وثوقى بالكشف الذى وفقت إليه . . .
فليكن هذا المبلغ البائنة التى تقدمينها إلى عروسك ، ولا أشرط عليك إلا
أمراً واحداً وهو أن تتزوجى شاباً كريم الخلق تحبينه ويحبك بالقدر
الذى أحبيت به الأزهار . . . »

فكادت الفتاة تختنق وتشرق بالدمع ، فأمسك « كرنيليوس » بيدها

وقال :

— « لا تبك فلم يبقَ لي إلا لحظات قصار ، فأرهنِي إلى "بسمِكَ" :

لست أريد منك مقابل هذا غير أمر واحد وهو أن تسمي الزنبقة السوداء "روزا كرنيليوس" أي أن تطلق عليها لفظاً منحوتاً من اسمك واسمي ، ولما كنت تجهلين اللاتينية فقد تسين هذا اللفظ فهاتي لي قلماً وورقاً لأكتبه لك . . .

فأجهشت الفتاة بالبكاء ، وقدّمت له كتاباً مجلداً تجليداً فاخراً

وَمُذَيَّلًا بِالْحَرْفَيْنِ الْآتَيْنِ ك. و. فساها « كرنيليوس » :

— « ما هذا ؟ » فقالت : « روزا » :

— «إنه الكتاب المقدس الذي كان مع الشهيد "كرنای دی ویت"»

لقد أعانته على تحمل تعذيبه فجئت به إليك ليعينك على احتمال مصيرك
الظالم، ولكنني رأيتك جليداً صبوراً معتمداً على القوة التي أودعها الله قلبك
الكبير . . . فاكذب عليه ما تشاء ، وثق أنه سينفذ بالحرف الواحد وإن
كنت أجهل القراءة والكتابة .

فأخذ « كرنيليوس » الكتاب المقدس فقبله خاشعاً وقال :

— « والقلم يا ” روزا “ فقالت :

— « في تضاعيف الكتاب أقلم وجدته فيه فكرته حيث هو .

وكان القلم الذي أعطاه « جان دي ويت » أخاه فلم يسرده ، فتناوله
« كرنيليوس » وعلى الصفحة الثانية من ذلك الكتاب لأن الصفحة الأولى
كما يذكر القراء كان « كرناي » قد انتزعها وكتب عليها الرسالة ، التي
سلمها « جان » إلى الخادم « كراك » ، خط « كرنيليوس » ما يلي :

« في اليوم الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٦٧٢ قُبِّلَ أن
تصعد روحى إلى بارئها تنفيذاً لحكم الموت الذى صدر على وأنا برىء ،
أهَبُّ الآنسة ” روزا جريفوس “ الشيء الوحيد الذى بقى لى فى هذا العالم
بعد مصادرة أملاكى وأموالى جميعها ، أهَبُّها ثلاث بزور أعقد اعتقاداً
جازماً أنها إذا زُرعت الآن نبتت عنها فى شهر مايو المقبل الزنبقة السوداء
التي خصّصت لها الجمعية الزراعية فى مدينة ” هارلم “ جائزة قدرها مئة ألف
” فلورا “ . وإنى أرغب أن تقبض الآنسة ” روزا “ ذلك المبلغ بدلاً منى ،

لم يخطئ إسحق في تقديره فالبزور كانت مع « كرنيليوس » ، ثم إن تنفيذ حكم الشنق في المتهم البريء ، واستعداد الجلاد لتسليم ثيابه إلى إسحق كل ذلك كفيل بأن يؤيد تقدير ذلك الجار القادر ، وبأن يحقق له مقامه . غير أن القدر كان واقفاً لإسحق بالمرصاد ، فقلب كل تقديره وتديره رأساً على عقب ، وأقام في طريقه عاملين بدداً أحلامه ، أولهما : « روزا » أى الحب ، فلولاها لبقيت البزور في جيب « كرنيليوس » ، وثانيهما : « جيوم دورانج » أى الحلم ، فلولاها لنفذ حكم الشنق واستولى إسحق على الثياب وظفر بالبزور .

وليس من السهل وصف المشاعر التى اختلجت في قلب إسحق في تلك الساعة ، فقد خفقت حناياه أولاً بشعور الفوز والنصر عقب ما طوق الحبل عنق « كرنيليوس » ، وودّ لو يعجل الجلاد في إتمام مهمته فكل ثانية كانت لديه بمثابة دهر ، واضطربت أضلاعه ثانية بعاطفة الدهش والاستغراب لما رأى الجلاد واقفاً لا يتحرك ولا يشدّ الحبل على عنق غريمه ، وازداد دهشاً وتعجباً لما رأى ضابطاً من الضباط يصعد إلى المنصة وفي يده ورقة طويلة أخذ يتلوها . ثم أصابته لومة من الجنون عند ما علم أن الشنق قد استبدل به السجن المؤبد ، فعريمه إذن لن يموت بل سيذهب إلى تلك القلعة التى عينوها له . وقد يكون في تلك القلعة حديقة فيزرع « كرنيليوس » فيها بزوره ، وتفتح عن الزنبقة السوداء ، فيظفر بالجائزة ، فتذهب كل

له أسراب من الحمام آتية من ذلك الأفق ، وما عتّمت أن مرت به ، وحط بعضها على أبراج القلعة وسطوحها ، فقال « كرنيليوس » « في نفسه : هذه جماعات من الحمام وافدة إلى هذا المكان من مسقط رأسي ، ولا شك أنها عائدة إليه ، فلو تمكّنت من القبض على واحدة منها لحملتها رسالة إلى مربّي .

واستقرت هذه الفكرة في ذهنه ، واستمرّ الحمام يروح ويغدو كل يوم بين « درودخت » والقلعة ، و« كرنيليوس » ينظر إليه حائثاً متحسّراً . وطالت هذه الحسرة عدّة أشهر كان الحمام فيها يمر به ولا يعرج مع ما كان ينثره عليه من فئات الخبز وفضلات طعامه .

وكان إلى رغبته في الحصول على فرخ من ذلك الحمام لا يفتأ يفكّر في بزوره الثلاث ، وفي الزنابق السود التي ستفتح عنها . ولعله لو عرف قصة ذلك الحمام لازداد شوقاً إلى الظفر بواحدة منه .

كان ذلك الحمام ملكاً لبحاره إسحق يربّيه وينسله ويرتزق منه . فلما هجر مدينة « درودخت » لحاقاً بالدكتور « كرنيليوس » إلى « لاهاي » ثم إلى قرية قريبة من القلعة المسجون فيها غريمه ، ترك ذلك الحمام لشأنه فلم يكن في المنزل من يُعنى به ويسهر عليه ، فأتت منه جماعة ، وهجرت البقية سطح منزل إسحق وحطت فوق سطح منزل الدكتور « كرنيليوس » . فاحتفت بها مربية الدكتور وأخذت تعني بها وتطعمها

فرجع « كرنيليوس » يديه إلى السماء شاكرًا ، وصاح : صبيحة كلها فرح وغبطة وقال :

— «روزا»... «روزا»، فقالت الفتاة:

— « اخفض صوتك فوالدي يتبعني ». فقال « كرنيايوس » متعجباً :

— « والدك ؟ » فقالت الفتاة :

— « أجل ! إنه في ساحة القاعة يتلقى التعليمات من محافظ القلعة » .

فازداد « كرنيليوس » دهشاً فقالت الفتاة :

— « سأطلعك بلمحة خاطفة على ما حدث : فعند ما تلقيت رسالتك

التي قرأتها لي مربيتك ، سعت إلى عمة لي كانت مربية الأمير "جيوم"

وهي الآن قوامة على منزل له في الريف ، وانتظرت حتى قدم الأمير علينا

يَوْمًا فَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَنْقُلَ أَبِي سَجَانًا لِهَذِهِ الْقَلْعَةِ فَقَبِلَ . وَلَمْ يَخَامِرْهُ شَيْءٌ فِي

الهدف الذي أرمى إليه . فقال « كرنيليوس » وقد كاد يطير من الفرح :

— « سأراك إذن كل يوم ؟ » فقالت :

— « ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً » . فقال « كرنيليوس » :

— « يا لرحمة السماء !... » فقالت :

— « صه . . . هذا والدى قد حضر . . . سأزورك فى الساعة التاسعة

من هذا المساء . . .

وحيثه بابتسامة حلوة وبإشارة من يدها الجميلة وتوارت عن العيان .



1.

حضر السجان إلى محبس « كرنيليوس » يسبقه إليه صدى خطواته الثميلة ، وقمعة حلقة المفاتيح في يده ، ففتح الباب على السجين وباده بالكلام الفظ الغليظ يحثه على الطاعة والخضوع ، ثم سأله عن اسمه فقال له « كرنيليوس » :

— «ألم تعرفني يا سيد "جريفوس" أنا سجينك في سجن "لاهاي".»

فقال السجّان :

— « أهذا أنت ؟ لقد أخطأ الأمير ! » فقال « كرنيليوس » :

— «شكراً لك يا سيدى على عاطفتك النبيلة ، أفكنت تؤثر أن

وفتحت «روزا» لفة البزور وأعطته واحدة منها. واحتفظت بالآخرين ثم ودعته وانصرفت إلى غرفتها.

ومنذ تلك الليلة أصبح السجن في عين « كرنيليوس » منزلاً يفيض بالهناء والسعادة ، فكان يشغل نهاره بتعهد زرعته ، ويقضى جانباً من الليل مستمتعاً بالحديث إلى « روزا » .

وخطر له ذات مساء أن هذه السعادة التي يذوق حلاوتها قد يُحرمها في يوم من الأيام إذا تضايق « جريفوس » أبو « روزا » من مهنته أو بَرِم بالمكان وعَنّ له أن يطلب نقله إلى سجن آخر .

وأفضى بما يشغل باله إلى «روزا» فطمأنته إلى أنها ستسعى جاهدة في الحيلولة دون ذلك الرحيل ، فقال لها :

۱ - ولکن ہیہ حدث فکیف أقف علی شونک وتقفین علی شونی

فلو كنت تعرفين القراءة لاتخذت الحمام رسولى إليك » . فقالت :

— ولم لا تعلمني القراءة والكتابة ؟ فقال :

— « أنت على صواب يا "روزا" فالمراسلة ستجعلنا متدانيين ولو
فرقت بيننا الجبال والبحار » .

فتيسمت « روزا » ابتسامة يائسة وقالت :

— « إن الأقدار كفيلة بأن تنقلك من هذا السجن.. وبأن ترد إليك

الحرية والمجد والمال ، أفترارك تذكر عندئذ أنك كنت عرفت فتاة اسمها



11

بدأ « كرنيليوس » يلقّن تلميذته قواعد القراءة والكتابة : ويعتمد على الكتاب المقدس الذى معها فى تعليمها الحروف وكيف تتألف منها الكلمة ، وتلقينها الكلمات وكيف تتألف منها الجملة ، وتدريبها على الجمل وكيف يتألف منها الكلام .

وحضرت إليه ذات مساء متأخرة نصف ساعة عن الموعد الذي تعوّدت أن تلقاه فيه فاعتذرت إليه قائلة :

— لا تلمني يا سيدي على تأخري فليس الذنب ذنبي . . . إن والدي قد عقد أواصر الصداقة بينه وبين رجل لا شك أنه من زبانية

الحكيم ، فهو يحب الشراب ولا يحلو له إلا أن يشربه مع أبي كل ليلة . فعلق أبي به وأصبح لا يطيق فراقه ، وأمعن هو في الزيارة وفي إغداق الهدايا . . . » فقال « كرنيليوس » وقد غمّه ما سمع :

— « ألا يكون جاسوساً يتسقط أخبار بعض السجناء؟ » قالت : « روزا » :

— « لا أحسبه من الجواسيس ». فقال « كرنيليوس » :

— « فعلام إذن يكرر زوراتہ ؟ » فقالت « روزا » مبتسمة :

— « لعل له سبباً غير التجسس » .

فحملق « كرنيليوس » فيها مضطرباً وقال :

— « تظنينه جاء يخطبُ يدك ؟ » فقالت :

— « قد يكون ذلك ، فالرجل قد بدأ يردد علينا منذ أن كنا في سجن ” لاهاي “ وفي الوقت الذي سجنتم أنت فيه ، وكان يزعم أنه صديق لك بوَدَّ أن يراك » فقال « كرنيلوس » :

— « یرانی انا ؟ » فقالت « روزا » :

– « حجة لجأ إليها فأنا التي يقصد . . . والدليل على ذلك أنه لما انقطعت أنا عن سجن ”لاهاي“ انقطع عنه ، ولما أتيت إلى هنا لحق بي . . . ولقد سمعته أمس يقول لأني إنه لا يعرفك . . . »

فصمت « كرنيليوس » هنيهة ثم قال :

— « حدّثني أيضًا يا ”روزا“ عن هذا الرجل لعلّي أعرفه أو أعرف ما يريد ؟ » فقالت :

— « إنه أتبع لى من ظلى . . . لمحتة أمس عند الغروب يراقبنى وأنا فى الحديقة ، وينظر كيف أعتنى بالرياحين والأزهار ، فلم أقترّب من المكان الذى أعبدته لأزرع فيه بذرة الزنبقة السوداء إمعانًا فى الاحتراس . . . ولكننى أعتقد أنى أنا التى أسترعى انتباهه لا شىء آخر » . فقال « كرنيليموس » .

— « إذن أنت مطمح أبصاره... أفى مستقبل الشباب هو ؟
أجميل هو ؟ » فقهرته « روزا » ضاحكة وقالت :

بـ « إنه أشنع وجهاً من اليوم . . . قد يناهز الحسين من العمر . . . وهولاً يجسر أن يحدّني وجهاً لوجه » . فقال « كرنيليوس » :

— « وما اسمه ؟ » فقالت « روزا » :

— « یعقوب جزیل » ، فقال « کرنیلیوس » :

— « لا أعرف أحداً بهذا الاسم . . . »

وقاطعته « روزا » بإشارة منها ثم أرهفت سمعها وهي قلقة مضطربة
فسألها :

— « ماذا بك ؟ » فقالت :

— « خيّل إلىّ أنّي أسمع وقع أقدام على السلم تختلف عن وقع أقدام



— « أبى ! أبى ! ماذا تقول ؟ ! » فقال السجّان لابنته وكان قد سمع صوتاً فى السلم يناديه :
— « اغربى من هذا المكان فصديقى يعقوب ينادىنى ، وسألقى بك بعد أن أغلق باب هذا الحبس وأطمئن إلى أقاله » .
فشت « روزا » إلى الباب ومرت بالدكتور « كرنيليوس » وقالت له بصوت يشبه الهمس :
— « غداً نزرع بزرّة أخرى » .



— « هو ذاك . » فقال « كرنيليوس » :

— « لقد وضع الأمر فلم يتبعك الرجل لأنه مغرم بك ، بل لأنه يريد أن يعرف أين زرعت بذرة الزنبقة السوداء . » فقالت « روزا » :

— « أعتقد ذلك ؟ » فقال « كرنيليوس » :

— « كل الاعتماد . . . انزلى غداً إلى الحديقة بحيث يعلم أنك نازلة إليها ، فترى أنه سيتبعك ويرقب كل حركة وسكنة تأتينها في الحديقة . . . » فقالت :

— « سأفعل ذلك . . . وأرى يا سيدى أن أردّ إليك البذرة التي أحفظ بها ، فتزرعها في غرفتك بدل تلك التي حطمها والدى ، فتعزّى وتتأسى عما فقدت . . . » فقال « كرنيليوس » :

— « كلا . كلا . لا أريد . . . إنما أريد أن تحتفظى بالبذرة التي أوصيتك أن تخبئها فسوف نتعاون معاً على زرعها في المكان والزمان اللذين أختارهما لك ، فإذا اتبعت إرشادى ونصائحى نبتت تلك الزنبقة التي ستكسبك الجائزة الثمينة . »

وقضت « روزا » في مسامرة « كرنيليوس » بعض الوقت ، وساءها أن يستبين لها حب « كرنيليوس » لزنابقه ولا شيء غير الزنابق ، في حين كانت تعلّل النفس أن يكون لها في قلب ذلك الحبيب المنزلّة الأولى ، فودّعه وانصرفت إلى غرفتها مهمومة حزينة .

وعبثاً حاولت أن تجد إلى النوم سبيلاً فقد كانت فريسة للأرق والقلق ، فنهضت إلى الكتاب المقدس هدية « كرنای دى ويت » لها ، وشغلت ليلاً بقراءته وتلاوة آياته ، فهي اليوم تعرف القراءة بعد الدروس التى أخذتها عن « كرنيليوس » . وانقضى هزيع آخر من الليل وهى لا تزال مسهدة الحفون ، فعمدت إلى قلم وورق تمرّن نفسها على الكتابة . وقضى « كرنيليوس » مثل ليلتها سهداً وغماً ، فقد أطار النوم من عينيه حزنه على بزرته المحطمة ، وخوفه على البزرتين الأخريين ، وقلقه أن تكون « روزا » قد أخطأت فى فهم عاطفته نحوها ، فاستقرّ فى ذهنها أن لا محل لها فى قلبه بعد زنايقه الغوالى ، فزق هذا الحاطر جوانحه ، وخشى معه أن تنقطع « روزا » عن زيارته فيفقد بها وبزنايقه أعزّ حبيين لديه . وتجسّمت مخاوفه فى الأيام التالية وامتلاً قلبه يأساً ، فها هى ذى ثمانية أيام تمر عليه و« روزا » لا تلقاه ولا تزوره فطارت نفسه شعاعاً ، وأظلمت الدنيا فى عينيه ، وودّ لو يخرج من هذه الحياة ، فاعاد له فيها أمل يزينها له ويرتقب تحقيقه .

وفى مساء اليوم التاسع سمع فى الموعد الذى تعوّد « روزا » أن تزوره فيه وقع أقدام خفيفة فجرى إلى كوة محبسه فراها قد فتحت بابها وبدأ منها وجه « روزا » الجميل ، فكاد يَصْعَق من الفرح . ثم سمعها تقول له :
 - « لقد صدقت فراستك ، فإن يعقوب لم يجرئ إلينا مغرمًا بى وخاطبًا



— « انتظر قليلاً ليتحقق أنى لن أعود ، ثم دأب من مخبئه ومشى إلى الحديقة كما تمشى الذئاب ، وكنت أنا في هذه المرة أرقبه وأحصى عليه حركاته ، فرأيت سار إلى المكان الذى أوهمته أنى زرعت فيه البزرة ، حتى إذا وصل إليه تلفت يميناً وشمالاً ، ونظر إلى الأبواب والنوافذ وإلى كل زاوية من زوايا الحديقة ، فلما وثق أن لا عين تراه ، ولا أذن تسمع لهائمه ودقات قلبه ، غرز يديه فى التربة المبلولة ونزعهما مملوءتين من الطين ، وأخذ يتحرى ذلك الطين ليعثر فيه على ما يطلب ... » فقال « كرنيليوس » :

— « يا للص ! ... يا للسارق الزنيم ! » فقالت « روزا » :

— « وكرّر ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يعثر على شيء عرف أنى خدعته ، فحمد جشعه وأصلح الحفرة التى حفرها ، وسوى الأرض بعدها وعاد وهو يطوف على الفِراس والأزهار طواف المنتزه المستمتع ... » فقال « كرنيليوس » :

— « يا للص ! ... والبزرة ماذا صنعت بها يا " روزا " ؟ »

فقالت « روزا » :

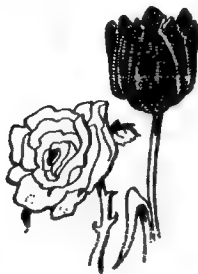
— « زرعتها ... » فقال « كرنيليوس » :

— « أين ؟ أين ؟ أنى مأمّن هى من هذا اللص الفاجر ؟ » فقالت « روزا » :

— « إنها فى مأمّن ما لم يقتحم هذا الرجل مخدعى » . فهدأت نائفة « كرنيليوس » وقال :

- « أؤمن بهذا الكلام ؟ » فقال « كرنيليوس » :
 - « إيمانك بالله » . فقالت « روزا » :
 - « إذن أعود إلى زيارتك في كل مساء » . فقال « كرنيليوس » :
 - « أجل . . . عودي . . . عودي . . . ناشدتك الله ! »
 فقالت « روزا » :
 - « أشرت مقابل ذلك أن لا تحدثني عن الزنبقة السوداء مدة ثلاثة أيام » .

فقال « كرنيليوس » :
 - « بل لن أحدثك عنها أبداً إذا شئت ! » فقالت « روزا » :
 - « لا . لا . أنا لن أطلب المستحيل ! »





١٣

انتعش « كرنيليوس » بتلك الزّورة التي لقي فيها « روزا » فنام نومًا هادئًا ، واستيقظ في الصباح فجري إلى النافذة ليستنشق النسيم العليل كأنه يستنشق معه نسيم الحياة معطرًا بالبهجة والسرور .

ولما دخل عليه السّجّان يزوره زورة الصباح ، ويحمل له طعام الإفطار ، دهش أشدّ الدهش لما رآه عليه من مَرَحٍ وابتهاج ، فظنّ به الظنون ، واعتقد أن سجينه قد أفلح في مؤامرة من المؤامرات ، ولا سيما عند ما رآه يقبل على الطعام بعد أن كان في الأيام الماضية يعزّف عنه في سأم ظاهر واضطراب مبين .

ثم تركه ومضى ، وعاد إليه عند الظهر يصحبه ثلاثة جنود فأغلق الباب وقال لهم :

— « هيا إلى التفتيش ! »

فاقترب الجنود من السجين ، وأخذوا يفتشون جيوبه ، ويفتشون ما بين سُتْرته وقميصه ، وما بين قميصه وجسمه ، فما عثروا على شيء . . . ثم فتشوا سريره وما عليه من أغطية وفراش ، فما عثروا على شيء . . . فانسحب السجان وجنوده وودعهم « كرنيليوس » بتهمة طويلة أجابها عنها السجان قائلاً :

— « اضحك ما شئت فالسعيد من يكون الضاحك الأخير ! »

وقضى « كرنيليوس » بقية نهاره مبتسماً مسروراً ، واستقبل في المساء حبيته « روزا » ودار سمرهما على كل شيء إلا على الزنقة السوداء ، وهكذا كان في المساء التالى حتى جازمت « روزا » بأنها فازت على غريمها ، ورسخ اليقين في نفسها بأن « كرنيليوس » يؤثرها على زنايقه مع شدة حبه لتلك الزنايق ففاض قلبها زهواً وجبوراً .

ورأت في المساء الثالث أن تختصر مدة الشرط ما دامت قد وثقت بحب « كرنيليوس » فوافته في الموعد وبإدارته قائلة :

— « لَقَدْ بَسَقَتْ . . . » فقال « كرنيليوس » :

— «لقد بسقت؟ أيّ بسق؟ وعمّ متحدّين يا عزيزتي؟»
فقلت «روزا» :

- « الزنبقة » . فصاح « كرنيليوس » :
- « أتتحدثين عن الزنبقة قبل مرور الأيام الثلاثة التى اشترطتها ؟ »
- فقالت « روزا » :
- « نعم . . . » فقال « كرنيليوس » :
- « أبسقتُ مستقيمة ؟ » فقالت « روزا » :
- « أجل مستقيمة وطولها الآن نحو بوصتين » . فقال « كرنيليوس » :
- « اعتنى بها يا ” روزا “ كل العناية لتنمو وتزكو وتزعرع » .
- فقالت « روزا » :
- « هى شغلى الشاغل . . . » فقال « كرنيليوس » :
- « شغلك الشاغل ؟ . . . وأنا ؟ لقد بدأت أغير منها ! » فقالت
- « روزا » :
- « منذ أن أصبحت فى غرفتى وأنا ملازمة الغرفة ، وأقوم بأعمالى كلها فيها ولا أتحوّل ببصرى عن ذلك الإناء الذى يحوى كنزك الثمين » .
- فقال « كرنيليوس » :
- « بل كنزك أنت . . . ألم نتفق على أن يكون مبلغ الجائزة بائنة لك ؟ » فقالت « روزا » :
- « نعم اتفقنا على ذلك ، واتفقنا أيضاً أن أهب تلك البائنة لشاب أتزوّجه فى نحو الثامنة والعشرين من العمر » . فقال « كرنيليوس » :

— « دعينا من هذا الآن يا قاسية » .

وقضى السجين وزائرتة قسطاً من الليل في سَمَرٍ ممتع ، وكان « كرنيليوس » فيه أسعد السعداء . فقد عادت المياه إلى مجاريها بينه وبين حبيبته ، وعاد حديثهما يحوم حول الحب والزنايق .

واستمرّا على هذا في الليالي الأخرى هانئين سعيدين ، وكانت « روزا » نَحْدَثُهُ كل ليلة عن الزنبقة المزروعة في غرفتها ، وتطلعه على أخبارها وأحوالها ، واطراد نموّها وبروز أوراقها ، حتى جاءته في ليلة من الليالي وقالت له في بهجة وفرح :

— « إن الزنبقة قد بانت معقودة الكم » .

فكاد « كرنيليوس » يطير عقله من الفرح بل كاد يغمى عليه من شدة السرور ، فأمسك بقضبان الكوة التي تفصل بينه وبين « روزا » فقد شعر بقواه تخذله وتهرّب منه عند سماعه ذلك النبأ العظيم .

وحدثتْ ولا حرج عن مبلغ سروره عند ما جاءته « روزا » بعد ليلتين تخبره أن الكم قد تفتح وبدأت منه الزنبقة ، فأخذ يهذى طرباً ثم سأل « روزا » :

— « أرايت لونها ؟ ... قولى ... قولى ... أرايت لونها ؟ يمكن رؤية اللون ما دامت قد تفتحت ... » فقالت « روزا » :

— « لونها أسود كالخبر » . فصاح « كرنيليوس » :

تكتبى الرسالة إلى رئيس الجمعية الزراعية . فقالت « روزا » :

— « لقد كتبته يا عزيزي . . . خذ واقرأها وقل لي رأيك فيها »

فتناول « كرنيليوس » الرسالة من صدر « روزا » وقرأ فيها ما يلي :

« سيدی رئیس :

إن الزنبقة السوداء ستفتح وتبلغ كامل نموها بعد دقائق قليلة . . .
وسأرسل إليك رسولا^١ يرجو منك بلساني أن تحضر إلى قلعة " لاوستن"
لتسلمها . . . إلى ابنة السجان " جريفوس " ويصعب على أن أرحل
إليك بها فأنا أكاد أكون سجيناً في القلعة كبقية السجناء . . . لذلك
ألمس منك أن تحضر أنت لتسلم الزنبقة السوداء .

وإني أُرغب أن تسميها "روزا كرنيليوس" . . . ها هي ذى قد
تفتحت وهي سوداء كالليل . . . فتعال يا سيدى الرئيس تعال . . .
خادمتك المطيعة
« روزا جريفوس »

ولم يسع « كرنيليوس » بعد أن قرأ الرسالة إلا أن يقول :

— « إنها رسالة بديعة ... فلا نضيع دقيقة واحدة ... هل وجدت؟ »

الرسول ؟

فَقَالَتْ «رَوْزَا» .

- « نعم... وما اسم رئيس الجمعية الزراعية في "هارم" ؟ »

فقال « کرنیلیوس » :

— « إنه معروف جداً... هاتي الظرف لأكتب لك عنوان رئيس

الجمعية »

وأخذ « كرنيليوس » الظرف وكتب عليه بيد مترجمة عنوان رئيس الجمعية الزراعية في مدينة « هارلم » وسلمه إلى « روزا » فأخذته وودعت « كرنيليوس » عائداً إلى غرفتها فودعها وهو يقول : « على بركة الله » . . .





شَيْعَ « كرنيليوس » حبيبته « روزا » وهو يستمطر لها بركات الله وحفظه ورعايته ، وليس غير عناية الله بحميها من برائن يعقوب صديق والدهما .

ولا ريب أن القارئ قد فطن منذ أول وهلة ، أن يعقوب هذا ما هو إلا « إسحق بوكستل » جار الدكتور « كرنيليوس » تنكر بهذا الاسم ليدراً عنه الشبهات . فقد لحق بجاره « كرنيليوس » إلى سجن « لاهاي » طمعاً في الظفر بيزور الزنقة السوداء فأخفق في سعيه ، ثم لحق به إلى هذه القلعة واستطاع أن يكسب ثقة السجنان بما أغدقه عليه من هدايا ،

القلعة . فاستغرب خروجها في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، واستبعد أن تكون قد نوت السفر ليلاً إلى مدينة « هارم » . وبأسرع من البرق جرى إلى غرفتها وجرب مفاتيحه في قفل الباب ، فأناله واحد منها لبأنته ، فدخل الغرفة وعلى فيه ابتسامة عريضة . . .

أما « كرنيليوس » فلم يغمض له جفن في تلك الليلة ، فقد غلب عليه السرور حتى أخافه وأفضّ مضجعه . فعلمه وتجاربه قد أثبتا له الزنقة السوداء وهي غاية مطمحه وأمانيه ، وجبيته « روزا » قد أصبحت لا تكتمه حبًّا وهواها فما بعد سعادته من سعادة .

وعندما لاح الفجر في الأفق ، وتسربت خيوط النور إلى محبسه من خلال قضبان النافذة ، سمع « كرنيليوس » وقع خطوات مضطربة تقب من محبسه ، وما هي إلا ثوان معدودات حتى رأى « روزا » تقبل عليه شاحبة الوجه . لاهثة متقطعة الأنفاس ، وتقول له من وراء قضبان الكوة :

— «کرنیلیوس» ! «کرنیلیوس» « فقال :

— « ما بك يا "روزا" ؟ ما هذا الاضطراب ؟ » فقالت :

— « كرنيليوس » ! الزبقة السوداء !! فقال وقد أعداه

اضطرابها :

— « ماذا بها ؟ ! » فقالت :



— « آه يا إلهي ، كيف أخبرك ؟ » فقال متلهفًا :

— « قولى . . . أفصحى . . . » فقالت :

— « لقد أخذوها منا . . . لقد سرقوها . . . » فقال :

— « أخذوها منا ؟ ! سرقوها منا ؟ ! » فقالت « روزا » وقد استندت

إلى الباب حتى لا تقع من شدة الحور والاضطراب :

— « نعم سرقوها ! » فقال :

— « كيف تُسرق وهي فى يدك وحراستك ؟ » فقالت :

— « تركتها دقائق قليلة . . . فقد خرجت فى جنح الليل ، وذهبت

إلى منزل الرسول الذى كنت اتفقت معه على أن يحمل رسالتى إلى "هارلم"

ومنزله قريب من القلعة ، فسلمته الرسالة ولما عدت إلى غرفتى لم أجد

الزنبقة . . . » فقال :

— « ضربت بتحذيرى عُرْض الحائط ، وتركت باب غرفتك

مفتوحًا ! » فقالت :

— « كلا . . . كلا . . . أوصدت الباب بالمفتاح ، وعدت فلقبته

موصدًا ، ووجدت الغرفة على ما تركتها عليه . . . » فقال :

— « فتح السارق إذن باب غرفتك بمفتاح مصطنع . . . » فقالت

وهى تتحجب :

— « سرقوها ! . . . سرقوها . . . عفوك ورحمك يا سيدى ! »

فتملّك « كرنيليوس » الغضب ، وأمسك بقضبان الكوة يريد أن يحطمها ، فأخذته الشفقة على « روزا » المنتحبة الباكية فقال لها :

— « هونى عليك ولا تستسلمى إلى الجزع ، فالحطب عظيم ولكن قد نستطيع التغلب عليه ما دمنا نعرف السارق . . . » فقالت « روزا » مذهولة :

— « أنّى لنا أن نعرف السارق ؟ ! » فقال :

— « إنه ” يعقوب “ الفاجر صديق أبيك . . . فعلينا أن لا نتركه يذهب بثمرة أتعابنا وسهرنا وجبنا . . . يجب اللحاق به ومطارده . . . إنه لاشك الآن فى طريقه إلى مدينة ” هارلم “ أه لو كنت حرّاً طليقاً لأدركت هذا اللص ، وأجبرته على أن يعترف بجريمته . . . افتحى لى هذا الباب وإلا حطمت محبسى حجراً فوق حجر . . . »

وبرز « جريفوس » السجنان فى تلك اللحظة ، فأخذ هو أيضاً يتوعّد السجين ويتوعّد ابنته ويتهمها بمشاركة السجين فى التآمر على أمير البلاد ، فساقها أمامه وغاب معها عن أنظار « كرنيليوس » المسكين .

وكأنما خطر ذا وهى تسير مع أبيها خاطر ارتاحت له فصاحت بأعلى صوتهما :

— « لم نخسر المعركة بعد . . . فاعتمد علىّ يا عزيزى ” كرنيليوس “ »

وفى هذه الأثناء كان يعقوب أو « إسحق بوستل » يجده فى الرحيل إلى



رجعت «روزا» إلى غرفتها وقد شحذ المصاب عزمها وهمتها
فصممت على أمر خطير . . .

تناولت من غرفتها ما تحتاج إليه في السفر ، وأخذت معها مبالغاً من
النقود كانت قد ادّخرته ، ومشت إلى خزانقتها حيث خبأت البزرة الثالثة
للزنبقة السوداء ، فأخذتها بالورقة الملفوفة فيها ، ودستها في صدرها ،
وخرجت خلسة من القلعة .

ذهبت إلى تاجر خيول وكان يعرفها فاشتريت منه جواداً ، وركبته
وجدت في السير إلى مدينة «هارلم» آملة أن تلتقي في الطريق بالشاب

– « إن الزنبقة التي لديه يا سيدى هي زنبقى . . . هي الزنبقة التي سرق منى . . . إنها ملكى وأطلب إليك يا سيدى أن تعيدها إلى . . . »
فقال الرئيس :

— « إنك لحرثة جسورة يا آنسة . . . فما عليك إلا أن تذهبي إلى السيد "إسحق بوكستل" فهو مقيم في فندق "البطة البيضاء" وتسأليه ما تريد . . . مع السلامة يا آنسة . . . إني مضطر أن أتم تقريرى وأطلب دفع مبلغ الجائزة للفائز في هذا الكشف العظيم . . . مع السلامة ! »

وهمّ الرئيس أن يستدعى الحاجب ليربها طريق الخروج ، ولكن شغل عن ذلك بجسلة ملأت الشارع ، وهتاف يشق عنان السماء . فنهض يستقصى الخبر ، ففتح الباب وجرى إلى بهو الاستقبال ليلطف منه على الشارع ، فلم يكذ يتجاوز عتبة البهو حتى فُتح الباب المقابل ، ودخل منه شاب أنيق يتبعه ضابطان . فما إن رآه الرئيس حتى هُرع إليه محيياً مسلماً ، وانحنى أمامه وهو يقول :

— «مولاى الأمير هنا ؟ إنه لشرف عظيم يا مولاى . . . » فقال له «جيتوم دورانج» :

— « إني رجل هولندي . . . أحب الماء والأزهار ، وأوثر الزنبق على ما عداه . . . ولقد انتهى إلى " وأنا في " ليدن " أن مدينة " هارلم " قد حظيت أخيراً بالزنبقة السوداء ، فبحث أقف على أنبائها من رئيس الجمعية



الزراعية . . . أليدك هذه الزنبقة ؟ » فقال الرئيس :

— « إني آسف يا مولاي ، فالزنبقة ليست هنا » . فقال الأمير :

— « وأين هي ؟ » فقال الرئيس :

— « عند صاحبها السيد "إسحق بوكستل" فهو رجل من مدينة

”دوردرخت“ مقيم الآن في فندق ”البطة البيضاء“ فلو شاء مولاي دعوته إليه في الحال. فقال الأمير :

— «أبلغه أن يحضر...» فقال الرئيس :

— « سمعاً وطاعة يا مولاي ... ولكن هناك مَنْ يدّعي أنه صاحب

تلك الزبينة ، فلعل ضخامة مبلغ الجائزة قد دفع بعض النفوس الصغيرة إلى مثل هذا الادعاء بل إلى مثل هذه الجريمة جريمة الاغتصاب . . . » فقال الأمير :

— « ألدك براهين تدين المجرم ؟ » فقال الرئيس :

— « كلا يا مولاي . . . فالجرم إنما هو فتاة غضة الشباب . . . »

فقال الأمير :

— « وما برهانها على امتلاك الزبقة ؟ » فقال الرئيس :

« همتُ باستجوابها لما شَرَفْتُ الدار يا مولاي... » فقال الأمير:

— « هيا بنا إليها نسمع براهينها ، ولا تنادني باسمي ، وادخل أنت

أولاً

فأذعن رئيس الجمعية لمشينة الأمير وأقبل على «روزا» وقال لها :

— « تكلمى أمام هذا السيد ، فهو عضو فى الجمعية الزراعية » .

فَقَالَتْ «رُوزَا» :

— « لقد أفضيتُ إليك بكل ما عندي ، وليس لي إلا أن أكرر

الرجاء ، وأتلمس منك دعوة السيد " بوكستل " إلى هنا مصحوباً بزيبته ،

فإن ظهر لي أنها ليست زنيقتي أعلنت ذلك في صدق وصراحة ، ولكن

إذا تأكدت أنها زبقتي فسوف أطلب بها علناً وعلى رؤوس الأشهاد

ولو اضطرني الأمر إلى أن ألقا إلى عدالة الأمير "جيتوم دورانج" ...

فقال لها الرئيس :

— «أعندك براهن يا فتاى ؟» فقالت «روزا» :

— « إن الله العالم بخفايا الصدور سيزودني بالبراهين ! »

فتبادل رئيس الجمعية والأمير النظرات ، وبدأ للأمير أن صوت الفتاة

ليس غريباً عليه، فقد سمعه قبل ذلك، فحاول أن يتذكر المكان والزمان .

وأشار إلى أحد ضباطه فذهب يدعو " بوكستل " إلى الحضور. واستأنف

رئيس الجمعية الاستجواب فقال :

— « وما الدليل على أنك صاحبة الزنبقة ؟ » فقالت « روزا » :

— « دليلي أني زرعتها بيدي، وتعهدتها في غرفتي ». فقال الرئيس:

— « في غرفتك ؟ وأين غرفتك ؟ » فقالت « روزا » :

— « في قلعة "لاوسن" فأنا ابنة السجان » .

فأتى الأمير بحركة دلت على أنه تذكر الآن أين سمع صوت هذه الفتاة ، فأخذ يحدق إليها ليتذكر صورتها فقال الرئيس :

— « وعلى هذا فأنت عالمة بالأزهار! » فقالت « روزا » :

— « كلا يا سيدى . . . ولست أرى مندوحة من أن أطلعك وأطلع هذا السيد على سرى . . . ما أنا إلا ابنة مسكينة من بنات الشعب ، فالزنبقة قد كشف سرها سجين في القلعة » . فقال الرئيس :

— « ويلك من شقيّة . . . كنت إذن على صلة بسجين من السجناء » .
وظفقت « روزا » تقصّ على السامعين كل قصتها مع « كرنيليوس » .
في لهجة صادقة صريحة ملكت عليهما لبسهما وفي هذه الأثناء عاد الضابط يخبر الأمير أن السيد « بوكستل » قد حضر ومعه زنبقته السوداء . ولما سمعت « روزا » صوت « إسحق بوكستل » صاحت :

— « هو هو . . . »

فأشار إليها الأمير أن تنظر إلى الزنبقة من فتحة الباب ففعلت وعادت تقول وهي تجهش بالبكاء :

— « إنها زنبقتى » .

فمشى الأمير إلى الباب وقال :

— « تفضل يا سيد " بوكستل " بالدخول ! »

أخرى غير البزرتين المعروفتين ، وإلا ما طرحت على مثل هذا السؤال .
فجمع قوائمه شجاعته وقال :

— « ثلاث » . فقالت « روزا » :

— « وماذا فعل الله بها ؟ » فقال إسحق :

— « الأولى جفت ولم تنبت ، والثانية أعطت الزنبقة السوداء » .

فقالت « روزا » :

— « والثالثة أين هي ؟ » فقال إسحق مضطرباً :

— « والثالثة موجودة عندي في "دوردرخت" » فقالت « روزا » :

— «أنت كاذب !» ثم التفتت إلى الأمير وقصت عليه قصة البزور

الثلاث : وكيف سحق والدها الأولى بقدمه : وكيف اعتنت هي بالثانية حتى أنبت هذه الزنبقة ثم قالت له :

٤. «أما الثالثة فيها هي ذى يا مولاي ملفوفة» بنفس الورقة التي كانت

تجمع البزور الثلاث كما أعطاني إياها " كرنيليوس فان باول " قبل أن يذهبا به إلى المشتقة .

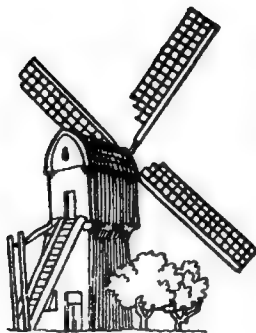
وأخرجت من صدرها الورقة وفتحتها ، وقدمت البزرة إلى « جيوم

دورانج «فتاؤلها منها ، وأخذ يفحصها ويطيل النظر إليها ، فخشي

إسحق من سوء العاقبة فقال :

— « لقد سرقت هذه الفتاة البزرة الثالثة مني ؟ »

– « سبحانك اللهم ما أعجب حكمتك ! أوحيت إلى ” كرنيليوس “
فعلمني القراءة لأقرأ الدليل الناصع على براءته وأقدمه للأمير ... سبحانك
اللهم سبحانك ! »





١٦

كان « كرنيليوس » في هذه الأثناء نهباً مقسماً للأحزان والأشجان ، فقد انقطعت « روزا » عن زيارته ، وها قد مضى عليه ثلاثة أيام بعد آخر مرة رآها فيها ، ولا يعلم من أمرها شيئاً سوى أن والدها أخذ يغلظ له في القول ، ويسىء معاملته ، ويتهمه بأنه تواطأ مع الشيطان لخطف ابنته . وكان يخيل إلى « كرنيليوس » أن السجان غير صادق في مزاعمه وأنه حبس « روزا » في إحدى غرف القلعة ليمنعها من رؤيته ٢

وفي صباح اليوم الثالث جاءه السجان وأوسع شتماً وسباباً على عادته ، وبينما كان يكيل لسجينه الشتم ، إذ سمع وقع أقدام كثيرة على

السَّلمُ المَفْضى إلى محبس « كرنيليوس » ثم رأى بعد لحظة قصيرة ثلثة من الجند يتقدمهم ضابط كبير ، فلما وصلوا إلى المحبس اقترب الضابط من السجنان وقدم له نفسه على أنه أمين الأمير « جيوم دورانج » . فارتعد السجنان وسرت رعدته إلى « كرنيليوس » فقد أوجس شراً من قنوم ضابط الأمير إلى ذلك السجن ، ولكنه عاد فتملك شعوره وقال فى نفسه : ليكن ما يكون فما قيمة الحياة إذا فقدتُ الزينة السوداء وفقدتُ معها « روزا » الحبيبة . غير أنه دهش مع ذلك عند ما سمع الضابط يقول للسجنان : — « أرجو أن تقودنى يا حضرة السجنان إلى غرفة ” كرنيليوس ” فإن باول ” . فقال له السجنان :

— « إنك واقف فيها يا سيدي الضابط » .

فالتفت الضابط إلى « كرنيليوس » وقال :

– ”هل أنت يا سيدى ” كرنيليوس فان باول “ ؟ “ ، فقال
 ” كرنيليوس “ .

— « نعم یا سیدی ». فقال الضابط :

— « تفضل واتبعني » .

واستدار الضابط وتبعه « كرنيليوس » محاطاً بالخند ، وبقي السجن
فاغراً فاه دهشة وذهولاً واستياء . فقد أيقن أن القوم سائرون بسجينة إلى
المشقة فودّ لو شهد موت سجينه ، ليطفى من قلبه نار الحقد والانتقام .
ولما وصل القوم إلى باب السجن وخرجوا منه ، كانت هناك مركبة



وتقدّم الأمير إلى وسط المنصة وفي يده رقّ ملفوفٌ فنشره وقال :

— « تعلمون أيها السادة لماذا اجتمعتم اليوم في هذا المكان . . . إن جائزة قدرها مئة ألف "فلوران" قد خُصّصت لمن يعثر على الزنبقة السوداء . . . لقد عثُر على الزنبقة السوداء ، وها هي ذى معروضة أمام أعينكم . . . إن تاريخها واسم مخترعها سيسجلان في سفر المدينة الذهبي فليتقدم إذن صاحبها . . . »

وعاد الأمير يسرّح بصره بالزوايا الثلاث ، فرأى « إسحق بوكستل » يتقدّم وسط المنصة ، ورأى « كرنيليوس » يأتى بحركة عفوية ، ورأى الضابط المكلف حراسة « روزا » يقودها إلى المنصة .

فما كادت تقترب من الأمير حتى سمع الناس رجلين يصيحان معاً في وقت واحد « روزا » . وكان إسحق المضطرب ، و « كرنيليوس » المدهوش . فقال الأمير يخاطب « روزا » :

— « هذه الزنبقة السوداء أنت صاحبتها يا آنسة ؟ »

فقابل الجمهور « روزا » بعاصفة من التصفيق مأخوذاً بجمالها الرائع ، وقال « كرنيليوس » فيما بينه وبين نفسه . لقد كانت كاذبة عند ما ادّعت أن الزنبقة قد سرقت منها . . . عرفتُ إذن السبب الذى من أجله هربت من القلعة . . . وأنا الذى وثقت بحبها وإخلاصها . . . أما إسحق فقد





[أولاد]

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة
واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة
المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام .

صدر منها :

- | | |
|--------------------------------|-------------------------|
| ١٩ - تودورا | ١ - عمرون شاه |
| ٢٠ - أوليفر تويست | ٢ - ملكة السحر |
| ٢١ - دافيد كوبر فيلد | ٣ - كريم الدين البغدادى |
| ٢٢ - فى مهب الريح | ٤ - آلة الزمن |
| ٢٣ - الفخ الذهبى | ٥ - الأمير والفقير |
| ٢٤ - عودة المخارب | ٦ - كتاب الأدغال |
| ٢٥ - حصان طروادة | ٧ - بينوكيو |
| ٢٦ - نساء صغيرات | ٨ - نبوءة النجم |
| ٢٧ - توم سوير . | ٩ - روبن هود |
| ٢٨ - الأربعة الذين سرقوا الزمن | ١٠ - دون كيشوت |
| ٢٩ - الربان الجرىء | ١١ - ايفنهور |
| ٣٠ - العم نعاى | ١٢ - جزيرة الكنز |
| ٣١ - أم حان | ١٣ - كروز الملك سليمان |
| ٣٢ - كوخ العم توم | ١٤ - سجين زندا |
| ٣٣ - سميراميس | ١٥ - الزنبقة السوداء |
| ٣٤ - بامبى | ١٦ - مون فليت |
| ٣٥ - صديقى فوق الشجرة | ١٧ - مقبرة الأفيال |
| ٣٦ - الطفلة المدللة | ١٨ - الربان بلود |
| ٣٧ - الارض الغامضة | |

١٩٩٨/١٧٢٦٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5715-X	الترقيم الدولي

٧/٩٨/٦٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



دارالمعارف

٢١٢٤١٠/٠١

